

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة المستنصرية

كلية الآداب / قسم اللغة العربية

# ثنائية الريف والمدينة في شعر

## حسب الشيخ جعفر

### دراسة موضوعية فنية

رسالة تقدمت بها

سؤدد حسام حمادي

إلى مجلس كلية الآداب . الجامعة المستنصرية

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الأستاذ الدكتور

سمير كاظم الخليل

٢٠١٠ م

١٤٣١ هـ

## الخاتمة

بعد هذه الرحلة مع شعر حسب الشيخ جعفر وظاهرة ثنائية الريف والمدينة في شعر نستطيع أن نحدد جملة من النتائج التي توصلنا إليها :

\* توزعت الذات الشاعرة لحسب الشيخ جعفر في أغلب النصوص بين ثلاثة أماكن ، الأهوار وموسكو ، وبغداد ، وبيئتين مختلفتين هما بيئة الريف وبيئة المدينة ، وجاءت المدينة في شعره في أول اختلافها عن الريف مركبة من مدينتين متباينتين استطاعتا حمل تجربته الشعرية واحتواءه على الرغم من كونهما متناقضتين في ذات الشاعر .

\* بشكل عام ينقسم النتاج الشعري للشاعر إلى قسمين يغلب على الأول الحنين إلى الريف ، وفي الوقت ذاته قبول المدينة الأولى ، بينما يظهر القسم الثاني عدم تقبل المدينة (الثانية) وبقاء الحنين والرغبة نحو المدينة الأولى ، وفي هذا القسم يتلاشى الريف مؤشراً سيطرة المدينة الأولى. ويمكن تتبع الريف عندما يدخل الريف في الزمن الماضي وتكون المدينة الأولى هي الحاضر ، إذ أدّ عندما تتحول المدينة الأولى إلى الماضي يصعب ملاحقة الريف في نتاج الشاعر فهو يتضاءل أو يكاد يختفي .

\* من خلال استقرائنا لمجمل قصائد الشاعر لمسنا في شعره غربة لكنه لا يهجو المدينة ، فلم نر ناقماً عليها ، بل العكس فهو يرغب بأن يقتحمها ويكتشفها ويتعرف عليها ، وأحاساس التيب والضياع الذي تمخض في اثناء وجوده في المدينة الأجنبية قد لا يؤدي بالضرورة إلى تمنى الشاعر العودة . وإذا كان الشاعر قد تعرض للإنكسار فأن ذلك لم يكن بدافع مفارقة الريف بل المدين الأولى .

\* لم يكن الشاعر يعيش غربة مكانية ، لكن يمكن القول أنها غربة زمانية أو روحية ، وإذا كان ثمة غربة مكانية فهي غربة لم تتحدد بمكانٍ معين لأنَّ الشاعر بعد عودته عاش حينياً معاكساً ويمكن تفسير هذا الحنين إذا علمنا أنَّه لم يعد إلى الريف ولكنه تحول مع ذلك بحنينه إلى موسكو ، لذا فهو لا يحتاج الريف احتياج مادي (أرض) بل احتياج معنوي ونفسي (أمن ، ألفة ، محب الأهل والرفاق) ، لذا فإنَّ حنين الشاعر لبيئته لم يكن حينياً للريف بقدر ما كان حينياً لطفولته والشاعر حتى بعد عودته إلى وطنه بقي هذا الحنين ، وعليه يمكن اجمال طبيعة الإغتراب في حياة الشاعر إلى أنه اغتراب نفسي.

\* وبشكل عام في قصائد حسب الشيخ جعفر لم نلمس خلاصاً للشاعر فلا المدينة أصبحت هي الخلاص ، ولا الريف قد انتهى فلا يوجد خلاص ويبدو أنَّ ذلك ما حدا به لهذا إلى الإغتراب.

\* أكثر الشعراء الذين ينحازون للقرية - الذين كانوا من منحدر ريفي - كانوا قد تعرضوا إلى إنكسارات وإحباطات في المدينة ، لذلك لجأوا إلى الريف وإنحازوا إليه ، أما حسب فلم يحدث له ذلك الإنكسار ، بل عاش في المدينة أجمل أيام حياته كما نلمس ذلك في أحاديثه الصحفية وفي قصائده ، لكنه في نفس الوقت كان يحن لطفولته وماضيه وربما كان حنينه لأشخاص معينين لم يفارقوا ذاكرته لذلك عبر عن هذا الحنين بصور الريف واستحضاره ، ويمكن الإستنتاج أنَّ حسب كان يحاول أن يستدعي متعلقاته في الريف إلى المدينة ، أي أنه بدل أن يحلم بالعودة إلى الريف كان يتمنى أن يستحضر الريف في مدينته (الأولى) فقد كان يطمح بأن ينال الإثنين - الريف والمدينة - في قبضته.

\* ان قيمة الريف الحقيقية عند الشاعر تكمن في وجوده فيه ، لذا فهو يحصر وجود الريف بوجوده وبغيبه عنه يفقد الريف جزءاً كبيراً من حيويته ، بينما يتصاغر الشاعر أمام المدينة الأولى فنرا صورها مستمرة بلحظاتها السعيدة حتى بعد رحيله عنها ، لذا فإنَّ مركزية المدينة الأولى تكمن في ذاتها ، وأنها قادرة على منح السعادة ، بينما يقف عالم الريف متمركزاً في ذوات بأعينهم.

\* إنَّ حضور المرأة في حياة الشاعر يتجلى في قصائد المدينة أكثر من حضورها في قصائد الريف ، وبالمقابل كانت المرأة الريفية حاضرة في نفسه وذاته كحنينه للريف أكثر من حضور امرأ المدينة.

\* الواقع بالنسبة لحسب الشيخ جعفر في المدينة الثانية كان واقعاً معادياً ، وقد أسهمت المدينة الثانية في إبراز الموقف الجدلي - بينها وبين المدينة الأولى - مما تسبب في اغترابه النفسي ، لبرزت الجدلية في شعر حسب الشيخ جعفر في حقيقتها بين المدينة الأولى والمدينة الثانية أكثر مما بين الريف والمدينة.

\* من ناحية اللغة الشعرية سيطرت مكونات الريف على قصائد الشاعر الريفية وكان لها حضور ملموس ولاسيما في الدواوين الأولى كديوان (نخلة الله والطائر الخشبي) ، أما في قصائد المدينة الأولى فبرزت مظاهر المدينة الحديثة التي طالما صورها الشاعر بأدق تفاصيلها وشغلت القصائد المدنية الدواوين اللاحقة ، وبرز الواقع في المدينة الثانية وما يكتنفه من تناقضات مع الماضي وذلك من خلال معجم قائم على (الرتابة والرثة والبلى والموت والقبر...) وتجسد ذلك بالدرجة الأولى في الديوانين الأخيرين (الفراشة والعكاز) و(رباعيات العزلة الطيبة).

\* انتشرت الأساليب التركيبية في جميع نصوص حسب الشيخ جعفر وكانت أكثر الأساليب هيمنة هو النداء والإستفهام والتقديم والتأخير والتكرار ، وبرز ما يميز النداء هو أنه ارتبط بمناداة الشاعر لمكونات بيئته الجنوبية وعلى الرغم من توفر النداء في قصائد المدينة غير أن الشاعر لم يعم فيها إلى مناداة مكونات بيئة المدينة ، ويمكن تفسير ذلك إلى أن الشاعر غالباً ما كان يرغب بإستحضار الريف إلى المدينة لا الذهاب إليه ، وأما مع المدينة فإنه لم يكن يحتاج إلى مناداته حتى بعد أن تركها ، وإنما كان يرغب بالعودة إليها لا استدعائها.

أما بنية الإستفهام فغالباً ما ارتبطت - وبالدرجة الأولى - بالمدينة وقد يعود ذلك لوجوه الحوار مع الطرف الآخر وكذلك الاغتراب الروحي ، فتنبثق عن ذلك الإستفهامات ، كما أر المدينة وإمرأة المدينة تُثيران تساؤلات الشاعر مما يستدعي وجود الأسئلة للتعرف عليهما. فضلاً عن ذلك فإن كثرة ما في بيئة المدينة من أنماط ثقافية ، واختلافات توجيهية ، وتعد آراء ، وارتباط كل ذلك بالحياة الاقتصادية كثيرة التكالب في المدينة قياساً بالريف ، وإنشغال الناس

بأمورهم الشخصية وافتقاد روح العائلة الكبيرة التي يتألف أفرادها ، كل ذلك أوجد نوعاً من الصراعات التي نتج عنها استفهامات تكثر في قصائد المدينة.

وأكثر توفر الإستفهام في الريف وفي المدينة الثانية كان على هيئة (مونولوج) عندما يحاور الشاعر نفسه ويتحسر على ضياع الماضي .

وجاء التقديم والتأخير في قصائد الريف والمدينة على السواء ، لكن الملاحظ على وجود في قصائد المدينة هو محاولة الشاعر تأنيث المكان وجذب الانتباه إليه قبل إدراج الحدث. أما التكرار فقد احتل مساحة ملموسة في دواوين الشاعر الأولى وفي القصائد المرتبط بالريف خاصة بكل أنواعه من تكرار الكلمة والسطر والمقطع الشعري ، في حين كان تكرار المقاطع هو الغالب على قصائد المدينة التي مثلت المرحلة الثانية من منجزه الشعري ، أما نصيب التكرار من دواوينه المتأخرة فهو انحسار تكرار المقطع الشعري وعودة الشاعر لتكرار الكلمة ، لكر وبشكل عام يغلب أسلوب التكرار على الدواوين الأولى.

\* تُمثل الصور البصرية الحيز الأكبر في منجزه الشعري غير أنَّها لاتعتمد التصوير المحض إذُ تمتزج بروبيته الذهنية لتنبثق عنها دلالات جديدة.

\* نلاحظ في الكثير من القصائد أنَّ الاسترجاع يقوم على تصادم صور المدينة بصور الريف بدون أدوات الربط ، مما أحدث نوعاً من التشويش ، وأدى الى نوع من المزج الصوري كالذي يحدث في الأفلام السينمائية عندما تتداخل صور مع صوره اخرى ، فالمزج الصوري يدمج بين مشهد الريف ومشهد المدينة وهذا مايتعلق بالمونتاج السينمائي ، غير أنَّ الشاعر في المراحل الاخيرة تخلى عن المزج الصوري واصبحت قصائده قائمة على الذاكرة فقط.

\* يلاحظ على بعض صور حسب الشعرية المتعلقة بالمدينة أنَّ الأجواء في اللوحة الشعرية أجواء مدينية غير أنَّ استعارات الشاعر لهذه اللوحة هي استعارات ريفية مستمدة من بيئة الشاعر الجنوبية.